

الحلقة الواحدة والخمسون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

هل تسعى دائماً مستمعي للحصول على المركز الأول؟ وهل تطلب أن تكون المراكز العليا من نصيبك؟ وهل تتشاجر مع الآخرين وتضحي بهم في سبيل مصالحك أنت أولاً؟ وهل تعلم أن الأنانية هي من العلل السلبية التي تُفسد الإنسان، والتي ربما تؤدي به إلى تصرفات وأعمال غير سليمة. وفي المقابل أمر جيد أن يجتهد الإنسان ويتعب للحصول على مكانة أفضل. فالطالب يسعى نحو النجاح الباهر والتفوق على الآخرين. وكذلك العامل والموظف اللذان يبذلان الجهد لكي يصلوا إلى المركز المرموق، ويحصلان نتيجة تعبهما. لكننا في لقاء اليوم لا نتحدث عن هذه الناحية الإيجابية من الطموح والاجتهاد.

وفي زمن المخلص المسيح كان تلاميذه يتنافسون على المراكز الأولى. فقد ظنوا أن المسيح أتى ليؤسس ملكوتاً أرضياً، وبما أنهم من تلاميذه فلا بد أن يكون لهم مركزاً مرموقاً في هذا النظام الجديد أي في ملكوت الله. نقرأ في الإنجيل المقدس ما ورد عن هذا الموضوع:

«فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَقَدَّمَ التَّلَامِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ: «فَمَنْ هُوَ أَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ؟» فَدَعَا يَسُوعُ إِلَيْهِ وَوَلَدًا وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ: «الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الْأَوْلَادِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هَذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الْأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَمَنْ قَبِلَ وَوَلَدًا وَاحِدًا مِثْلَ هَذَا بِاسْمِي فَقَدْ قَبِلَنِي. وَمَنْ أَعْتَرَ أَحَدَ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ الْمُؤْمِنِينَ بِي فَخَيْرٌ لَهُ أَنْ يُعَلَّقَ فِي عُنُقِهِ حَجْرَ الرَّحَى وَيُغْرَقَ فِي لُجَّةِ الْبَحْرِ. وَيَلْ لِلْعَالَمِ مِنَ الْعُتْرَاتِ! فَلَا بُدَّ أَنْ تَأْتِيَ الْعُتْرَاتُ، وَلَكِنْ وَيْلٌ لِدَلِكِ الْإِنْسَانِ الَّذِي بِهِ تَأْتِي الْعُتْرَةُ!» (بشارة متى ١٨: ١-٦). سنأمل الآن بهذه الفقرة فابقوا معنا.

لنلاحظ هنا أن التلاميذ سألوا المخلص المسيح عن هو أعظم في ملكوت السموات؟ أي في الملكوت السماوي الذي ظنوا أنه سيؤسسه على الأرض. وفي مكان آخر من الإنجيل يخبرنا البشير مرقس أن تلاميذ المسيح كانوا يتجادلون فيما بينهم من هو

الأعظم. ولكي يعلمهم المسيح درساً أتى بولد وأقامه في وسطهم.

يتميز الأولاد بصفة هامة أنهم لا يعتمدون على نفوسهم، بل دائماً يلجؤون للكبار. وهم بالتالي لا مكانة لهم ولا نفوذ، ولا يستطيعون تبوأ المراكز. ويشير الأولاد إلى صفة هامة أخرى ألا وهي صفة التواضع. هذا ما قصده المسيح عندما طلب من تلاميذه أن يرجعوا ويصيروا مثل الأولاد. أي عليهم أن يصيروا أولاً مثل الأولاد بلا مكانة ولا نفوذ، وأن يتحلوا كأولاد بصفة البراءة والبساطة. وأن لا يسعوا نحو المراكز الأولى، وأن يضعوا كل ثقتهم بالله. فكما يلجأ الأولاد إلى الكبار ويتقوا بهم، هكذا على التلاميذ أن يضعوا كل ثقتهم بالله الأب السماوي. فهو الذي يدرّبهم ويقودهم لما فيه الأفضل لهم.

وفي نفس الوقت عليهم أن يتحلوا كأولاد بصفة التواضع وإنكار النفس، مقرّين بعجزهم وعدم أهليتهم لأي مركز مرموق. هل تعلم مستمعي أن التواضع هو من أهم الصفات التي يجب أن يتحلّى بها الإنسان فكيف بالمؤمن بالمسيح؟ لأن كل من يضع نفسه يرتفع كما قال المسيح في مناسبة أخرى. ولهذا تابع المخلص المسيح حديثه قائلاً: «فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هَذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الْأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ». أي على الإنسان المؤمن بالمسيح أن يصبح مثل الولد أولاً، ويتّضع ويتحلّى عن أنانيته، حينئذ يرفعه الله ويعطيه المركز اللائق به، ويصبح عظيماً في ملكوت الله الروحي، وليس الأرضي.

ثم انتقل المسيح للحديث عن أهمية قبول الأولاد أو الناس الضعفاء أو الفقراء، وعدم إهانتهم أو زجرهم. وأنا عندما نقبلهم نكون قد قبلنا المسيح نفسه واحترمانه. ولهذا تابع محذراً من إعتار الأولاد أو المؤمنين الصغار به. وأنه الأجدر من الذي تأتي به العثرة، أن يُوضع حجر الرّحى حول عنقه ويُلقى في البحر.

مستمعي الكريم، اتضح لنا من حديث المخلص المسيح أنه لكي ندخل إلى ملكوت الله، أي نحصل على خلاص الله وغفرانه الكامل، علينا أن نرجع ونصير مثل الأولاد. أي نصدّق كأولاد ما أعلنه المسيح عن نفسه، وأن نثق به، ونؤمن بعمله الكفاري من أجلنا على الصليب. هل تعلم مستمعي أنه ليس من السهولة أن نصير مثل الأولاد؟ فليس سهلاً أن نتنازل عن كبريائنا وأنانيتنا، وأن نتواضع، ونتحلّى عن كل ما وراثناه ونخترناه من معلومات خاطئة ومفاهيم سلبية. لكن هذا هو ما يطلبه الله منا أولاً أن نصير مثل الأولاد لكي ندخل إلى ملكوت الله.

وكما ذكرنا قبل قليل إن الأولاد يتحلّون بصفة البراءة، والثقة أي تصديق ما يقدّم لهم من معلومات. وفي نفس الوقت يقرّون بعجزهم وعدم أهليتهم. وهذه صفة هامة للحصول على خلاص الله. هل تعلم مستمعي أن أول أمر يجب أن نقدم عليه هو الإقرار أننا نحن خطاة ومدنّبون وبحاجة إلى تبرير الله لنا؟ وما لم نتواضع ونقرّ بهذه الحقيقة فإن الله لن يغفر خطايانا ويرحمنا ويهبنا الخلاص الكامل. فهناك من يظن أنه إنسان صالح ويقوم بالفرائض والواجبات الدينية، وبالتالي لا يقر بنفسه أنه إنسان خاطئ، وأنه بحاجة إلى الإيمان بعمل المسيح الفدائي من أجله على الصليب، لكي ينال الغفران عن خطاياه.

تحدّث المسيح مرّةً بمثلٍ عن إنسانين صعدا إلى الهيكل ليصلّيا. واحد فريسي أي من المتزمتين دينياً، والآخر عشّار من جباة الضرائب الظالمين. فصلّى الفريسي شاكراً الله أنه ليس مثل باقي الناس الأشرار، وأنه يقوم بواجباته الدينية. أما العشّار فقد قرع على صدره قائلاً: اللهم ارحمني أنا الخاطئ. وهنا علّق المسيح قائلاً: «إِنَّ هَذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبْرَراً دُونَ ذَلِكَ، لِأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَضَعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (بشارة لوقا ١٨: ١٤). لقد عاد العشّار الخاطئ الذي اعترف بخطاياه إلى بيته مبرراً من خطاياه. فهل تراك مستمعي تعترف بأنك خاطئ، وتصلّي كما صلّى العشّار طالباً رحمة الله ومؤمناً بفداء المسيح لك؟